آفات الدراسات الاستشراقية في موضوع المهدويّة[1]

زهير دهقاني آراني

المقدمة

إن النظر في الأعمال المكتوبة من قبل المستشرقين، تشير إلى حدوث نوع من التغيير والتحوّل في التقارير والآراء عبر الزمن خلال القرنين الأخيرين. فإذا كان المستشرق جيمز دار مستيتر ـ بوصفه أول باحث غربي يحاضر في جامعة السوربون الفرنسية حول المهدوية في إطار ثورة المهدي السوداني ـ قد ألف كتاب المهدي قديمًا وحديثًا مدعيًا عدم أصالة العقيدة المهدوية في بداية الإسلام[2]، فإن ولفرد مادلونغ قد ردّ على هذا الادعاء بعد ذلك بسنوات بدقة أكبر في دائرة المعارف الإسلامية، مستندًا في ذلك إلى الروايات المأثورة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله [3].

---

١. المصدر: نشرت المقالة باللغة الفارسية تحت عنوان «آسيب‌شناسي تحقيقات مستشرقان در مورد مهدويت، با بررسي سير تطور مهدويت‌پژوهي غربيان، از آغاز تا دوره معاصر»، مجلة: انتظار موعود، العدد ٦٩، صيف ١٣٩٩ش: صص ١٢٩ – ١٥١.

ترجمة: حسن علي مطر.

٢. دار مستيتر، مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري، ٩ ـ ١٠.

3. Madelung," Al-Mahdi," 1231 - 1235.

إن التغيير والتحوّل الذي شهدته آراء المستشرقين في حقل المهدوية، له تجليات مختلفة وعلل وأسباب متعددة، وهي تحتاج إلى بحث وتحليل واسع يخرج عن نطاق هذه المقالة[1]. وعلى الرغم من ذلك فإن أخطاء المحققين الغربيين في حقل المباني والاتجاهات والمصادر ـ سواء في المراحل الأولى أو المرحلة المعاصرة ـ قد أدّت إلى الكثير من الأفهام الخاطئة وغير الدقيقة في الموضوعات المرتبطة بالمهدوية. وهذا الأمر بدوره يستوجب البحث في آفات دراسات المستشرقين في حقل المهدوية، واكتشاف أسباب الأخطاء، والتمهيد لإصلاح الاتجاهات والاستعداد للرد والجواب المناسب عن شبهات المحققين والمؤلفين الغربيين في هذا الموضوع.

الجذور التاريخية

فيما يتعلق بآراء المستشرقين في موضوع المهدوية، تمّ تأليف كتاب شرق شناسي ومهدويت لمؤلفه الدكتور السيّد رضي الموسوي الگيلاني. وقد شكل هذا الكتاب بداية لبحث موضوع المستشرقين، ونقد آراء بعضهم حول المهدوية بشكل موردي، ولكنه لم يبحث آراء الكثير من المحققين الغربيين، من أمثال/ بلوشيه، وفردلندر، وكوهلبرغ، ومادلونغ، والكثير من المستشرقين المعاصرين. كما أن كتاب التشيّع والاستشراق لمؤلفه الدكتور عبد الجبار ناجي، يُعدّ مصدرًا آخر في هذا الموضوع؛ حيث عمد بشكل خاص ضمن عدّة فصول إلى التعريف بالمستشرقين الذين بيّنوا آراءهم في حقل الإمامة والمهدوية الشيعية في كتاباتهم. وهذا الكتاب بدوره لم يدخل بشكل معمّق في نقد منهجي ومضموني لآراء المستشرقين.

---

١. لقد قمنا بهذه المهمة في أطروحتنا على مستوى الدكتوراه تحت عنوان «سير تحوّل نگاه مستشرقان به مهدويت در ١٥٠ سال أخير» (دهقاني آراني، ١٣٩٨ش)، وإن الكثير من إحالات هذه المقالة مقتبس من تلك الأطروحة.

كما أن مقالة «مهدويت در نگاشته هاي مستشرقان» لكاتبها الدكتور علي راد ـ المنشورة في المجلد الأول من موسوعة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، هي الأخرى قد عمد فيها ـ (اعتماداً على المصدرين المتقدّمين غالبًا) ـ إلى تقسيم نظريات المستشرقين إلى مرحلتين، وهما:

١ ـ التشكيك واعتبار المهدوية رؤية أساطيرية.

٢ ـ تنوع المداخل.

كما تمّ تلخيص أسلوب عمل المستشرقين في نوعين، وهما: التاريخي، والظاهراتي[١]. وهذا العمل بدوره يفتقر إلى الرؤية الشاملة في هذا الموضوع. والمصادر الأخرى في موضوع هذه المقالة، إما أنها تفتقر إلى الشمولية وملاحظة الحدّ الأقصى من آراء المستشرقين، أو أنها تقتصر على بحث ونقد بعض أبعاد الموضوع بشكل محدود وعلى نحو عابر.

المفاهيم

إن المفردتين اللتين يبدو من الضروري التعريف بهما من أجل تحديد مساحة البحث، هما عبارة عن: «المهدوية» و«المستشرق». إن كلمة «المهدوية» من الناحية اللغوية يمكن أخذها على نحوين، وهما:

١. المصدر الجعلي أو الصناعي، وفي هذه الحالة يجب لحاظ معنى «الاهتداء».

٢. الصفة المنسوبة إلى المهدي، وفي هذه الحالة تكون هذه المفردة بمعنى المرتبط أو المنسوب إلى المهدي[٢].

ويبدو أن المعنى الثاني، هو الأقرب من الناحية اللغوية إلى استعماله الاصطلاحي

---

١. محمّدي ريشهري، «مهدويت در نگاشته‌هاي مستشرقان»، ١٤٤ ـ ١٦٠.

٢. جعفري، «پرسش وپاسخ مهدويت: در باره واژه مهدويت»، ٥٢.

(المفاهيم المرتبطة بالمهدي). بالنظر إلى هذا الموضوع، فإن المراد من المهدوية في هذه المقالة هو «جميع المسائل، والمعارف، والمعلومات، والمرويات التاريخية، والاعتقادية، والسياسية، والاجتماعية، المرتبطة والمنتسبة بأي شكل وجهة بالإمام الموعود والمهدي المنتظر في الإسلام»[1]. وفي ضوء هذا التعريف فإن دائرة المهدوية لن تقتصر على المسائل المرتبطة بشخص الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فقط، وإنما تشمل مساحة واسعة تحتوي على جميع الأبحاث في مورد منشأ المهدوية، ومدّعي المهدوية، وأعداء المهدوية، والفرق والمصطلحات المرتبطة بالمهدوية، وكذلك بعض علامات القيامة وأشراط الساعة المرتبطة بشكل وآخر بموضوع المهدوية، حيث سوف تندرج بأجمعها تحت مصطلح «المهدوية».

هذا وقد تمّ تقديم تعاريف مختلفة من قبل الكتاب والمنظّرين لمفهوم الاستشراق (وتبعًا لذلك مفهوم المستشرق)، وعلى الرغم من اشتراكهما الكبير، هناك بعض الاختلافات فيما بينهما[2]. بالنظر إلى المفهوم الخاص لـ «المستشرق»، وملاحظة التعاريف الواردة في المصادر المختلفة، فإن المعنى المنظور للمستشرق في هذه المقالة يشمل جميع الأفراد من ذوي الأصالة الغربية، من الذين لهم آراء ومؤلفات ملحوظة في موضوع المهدوية والمسائل المرتبطة بها. وعلى أساس هذا التعريف يخرج المحققون من ذوي الأصول الشرقية والإسلامية ـ من الذين لهم حضور في المراكز العلمية الغربية ـ عن دائرة المستشرقين، ومن هنا لا تكون آراؤهم ملحوظة في هذه المقالة. ولم تلحظ في تعريف المستشرق قيود أخرى من قبيل: الدين واللغة والمواطنة والهوية والمستوى العلمي.

---

١. تاجري‌نسب، فرجام‌شناسي حيات انسان، ١: ٢٠.

٢. سعيد، شرق‌شناسي، ١٦؛ ألويري، مطالعات اسلامي در غرب، ١٣ ـ ١٤.

تقرير مختصر لرؤية الغربيين حول المهدوية خلال الـ ١٥٠ سنة الماضية

قبل الدخول في موضوع معرفة آفات تحقيقات المستشرقين حول موضوع المهدوية، ينبغي العمل ـ ضمن بحث التحوّلات الحاصلة في نظرياتهم حول هذا الموضوع خلال السنوات لـ ١٥٠ الماضية ـ على دراسة خلفيات وأسباب هذه التحوّلات. من الواضح بداهة أنه لا مجال في هذه المقالة للبحث في هذا الأمر بشكل كامل، ولكن لأهمية هذا الموضوع نذكر فيما يلي بعض المطالب بشكل مختصر.

بالنظر إلى بعض الملاحظات والتغييرات والتحوّلات التاريخية والسياسية والفكرية[1]؛ يمكن تقسيم نشاط المستشرقين في حقل المهدوية إلى أربع مراحل تاريخية، وهي:

المرحلة الأولى: تعود إلى دراسات الغربيين في موضوع المهدوية، في حدود أواسط القرن التاسع عشر للميلاد، حيث أن محور أغلب هذه الدراسات يقع في مورد مدّعي المهدوية ضمن هذه المرحلة. ويمكن الإشارة من بين أبرز المستشرقين الناشطين في هذه المرحلة إلى كل من: جيمز دار مستيتر، وفلوتين، وهورغرونييه، وإجناتس جولدتسيهر. وقد اشتملت دراسات هذه المرحلة ـ بسبب ضعف الوصول إلى المصادر الإسلامية، والفرضيات الذهنية المسبقة والناتجة عن الأجواء الاستعمارية والتبشيرية التي كانت حاكمة آنذاك ـ على الكثير من الإشكالات.

المرحلة الثانية: بدأت بعد نهاية الحروب العالمية في منتصف القرن العشرين

١. دهقاني آراني، «سير تحوّل نگاه مستشرقان به مهدويت در ١٥٠ سال أخير»، ٢ ـ ٤.

للميلاد؛ حيث اقترنت هذه المرحلة بتغييرات جوهرية في دراسات وتحقيقات عموم المستشرقين حول الإسلام. في هذه المرحلة نواجه بعض المستشرقين الذين كانوا يبدون آراءهم بهواجس أقل تجاه العناصر الدينية والسياسية للمفاهيم الإسلامية، وكانت نتيجة لذلك انطلاق بعض الدراسات والتحقيقات الأشد عمقًا في المسائل الخاصّة بالمهدوية. وكان كل من كوربان ولاوست وواط وهاجسون، من بين المستشرقين البارزين في هذه المرحلة. ومع ذلك لم يكن المحققون الغربيون في هذه المرحلة على معرفة كبيرة بالمهدوية الشيعية ولم يكونوا كذلك مطلعين على الظهور والتبلور السياسي للمهدوية أيضًا.

وقد أدّى تزامن انتصار الثورة الإسلامية في إيران وما حملته من الشعارات المهدوية، مع بعض الأحداث الأخرى سنة ١٩٧٩ م ـ ومن بينها حركة جهيمان العتيبي في السعودية، وانطلاق عدّة حركات إسلامية في أفغانستان ـ إلى إحداث تغييرات جوهرية في آراء وأبحاث الغربيين في الموضوع المهدوي، وبذلك بدأت مرحلة جديدة (المرحلة الثالثة) في هذه المجال. إن اهتمام المستشرقين بالثورة الشيعية في إيران، بالإضافة إلى أنه قد أدّى إلى دخول الكثير من الباحثين في الغرب إلى حقل التحقيق في موقع الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف عند الشيعة، فقد استرعى كذلك اهتمام مجموعة كبيرة منهم بالتأثيرات السياسية لهذه العقيدة بين عموم المسلمين أيضًا.

وقد حظيت أبحاث مهمّة من قبيل: دخول الشيعة إلى حقل السياسة في عصر الغيبة، وكذلك تبلور ولاية الفقيه التي لم يكن لها سابقة في المراحل المتقدّمة، باهتمام الغربيين في هذه المرحلة على نطاق واسع. وإن النشاط الأكبر للكثير من المفكرين من أمثال: كلبرغ، ومادلونغ، وهاينس هالم، وتيرنر، يعود إلى هذه المرحلة.

وإن أحداث بداية القرن الجديد والتغييرات التي ظهرت في اتجاه وغاية واختيار الموضوعات في العقدين الأخيرين بين المحققين والكتّاب الغربيين، قد شكل بداية مرحلة جديدة (المرحلة الرابعة) في حقل الأبحاث المهدوية عند الغربيين، ولا تزال هذه المرحلة قائمة إلى هذه اللحظة. إن هذه المرحلة على الرغم من اقترانها بتواصل اهتمام المستشرقين بموضوعات من قبيل المهدوية الشيعية؛ كان لها اهتمام خاص بمسائل من قبيل تأثير المهدوية على الساحة السياسية أو ازدياد الإقبال على الفكر المهدوي بين المسلمين، حيث شهدت هذه المسائل تركيزًا أكبر؛ علاوة على أن المرحلة الأخيرة قد شهدت اختلافًا كبيرًا وملحوظًا عن المراحل السابقة سواء في عدد المستشرقين الناشطين في هذا المجال، أو في عدد الدراسات والتحقيقات العميقة والجزئية. وقد كان لوجوه جديدة من أمثال ديفد كوك، وفرنيش، وفيلو، وروي فيلوزني، نشاط أكبر في هذه المرحلة.

وفيما يتعلق بالتغييرات والتحوّلات المتنوّعة الحاصلة في آراء وخصائص المستشرقين، ومن بينها: المواطنة والمهنة والجنسية؛ هناك الكثير من النقاط الجديرة بالبحث، والتي ورد بيان بعض أبعادها في المصدر المشار إليه[1]. بالنظر إلى أهمية الموضوع، يأتي الرسم البياني لمسار اهتمام المستشرقين في المراحل الأربعة ـ حيث يحتوي على نقاط مهمّة فيما يتعلق بتغيّرات واهتمام المستشرقين بالمسائل الجزئية الخاصة بالموضوعات المهدوية على مرّ الزمان ـ على النحو أدناه:

١. انظر: م.ن.، ٣٢٥ ـ ٣٤١.

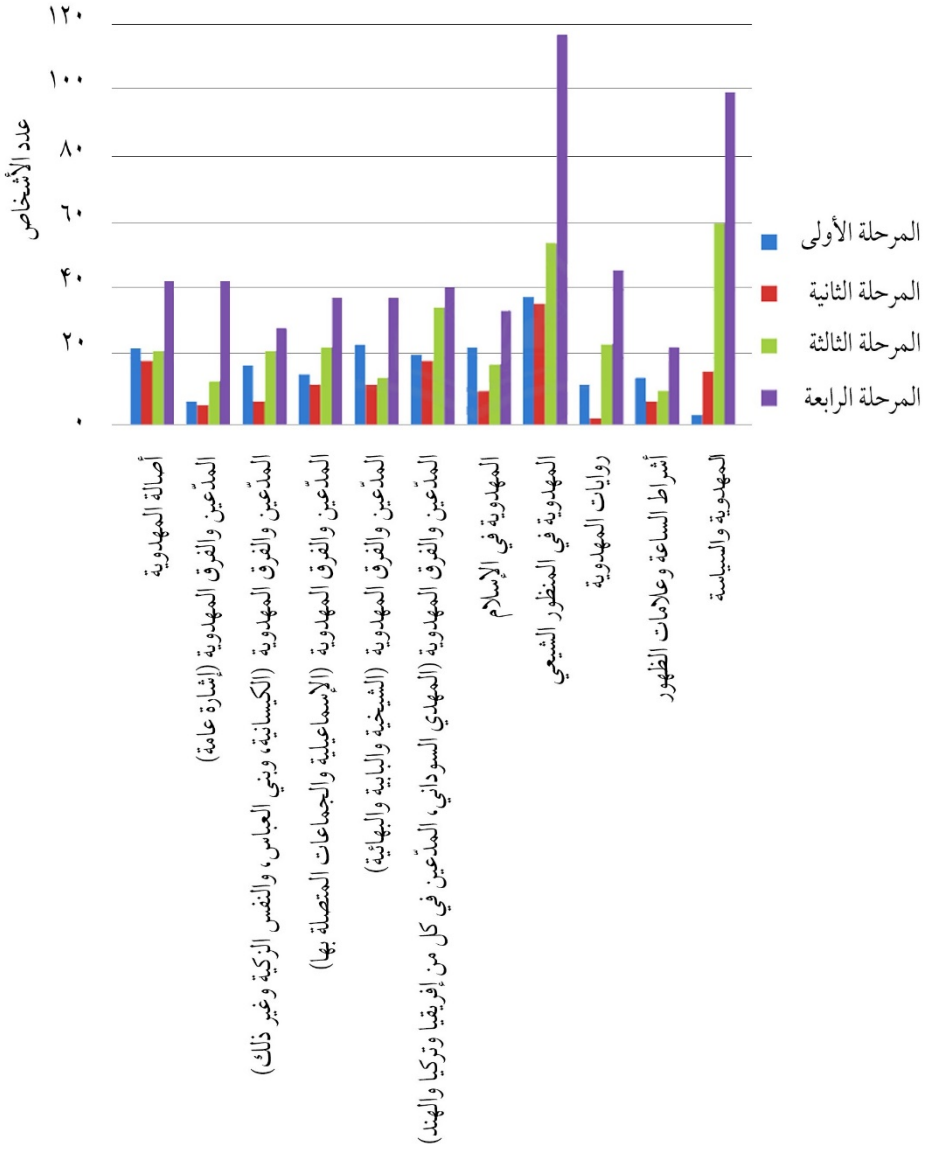
عدد الأشخاص
١٢٠
١٠٠
٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠
المرحلة الأولى
المرحلة الثانية
المرحلة الثالثة
المرحلة الرابعة
أصالة المهدوية
المدّعين والفرق المهدوية (إشارة عامة)
المدّعين والفرق المهدوية (الكيسانية، وبني العباس، والنفس الزكية وغير ذلك)
المدّعين والفرق المهدوية (الإسماعيلية والجماعات المتصلة بها)
المدّعين والفرق المهدوية (الشيخية والبابية والبهائية)
المدّعين والفرق المهدوية (المهدي السوداني، المدّعين في كل من إفريقيا وتركيا والهند)
المهدوية في الإسلام
المهدوية في المنظور الشيعي
روايات المهدوية
أشراط الساعة وعلامات الظهور
المهدوية والسياسة

مسار الاهتمام بالموضوعات المهدوية في المراحل الأربعة

وكما نلاحظ في هذا الرسم البياني، فإن الاهتمام بجميع المسائل تقريبًا قد بلغ الذروة في المرحلة المعاصرة؛ وإن كانت نسبة هذه الذروة في موضوعات من قبيل: نظرة الشيعة إلى المهدوية، والمهدوية والسياسة، وأصالة المهدوية، وكذلك المدّعين والفرق المهدوية أكثر من سائر الموضوعات الأخرى. وإن روايات المهدوية التي كانت نادراً ما تسترعي الاهتمام في المراحل السابقة؛ قد بلغت في هذه المرحلة لتجد مكانها بين الموضوعات التي حظيت باهتمام المستشرقين.

آفات الدراسات الاستشراقية في حقل المهدوية وإشكالياتها

من خلال نظرة شاملة وجامعة نلقيها على الكتابات والأعمال التحقيقية ـ التي قام بها المستشرقون الذين تناولوا موضوع المهدوية ـ يمكن الوقوف على نواقص وإشكالات آثارهم في مختلف المجالات، من قبيل: المصادر المعتمدة، وأسلوب واتجاه بحث موضوع المهدوية أو الفرضيات السابقة المهيمنة على آراء المستشرقين. إن بعض هذه الإشكالات، من قبيل: الاستفادة من المصادر الدينية الأصيلة، كانت أكثر وضوحًا في بعض المراحل، وأما في المراحل الأخرى فلم يكن لها ظهور إطلاقًا أو تمّ إصلاحها إلى حدّ ما؛ إلا أن بعض هذه الإشكالات قد بقي على ما كان عليه. وفيما يلي سوف نعمل ـ من خلال تبويب الآفات في المباني والمصادر والاتجاهات والأساليب وكذلك في اختيار الموضوعات والأولويات ـ على ذكر نماذج من الاتجاهات الاستشراقية الخاطئة والقابلة للنقد والإشكال في كل واحد من هذه الموارد، مع ذكر بعض الأمثلة من آراء وكتابات المؤلفين والمحققين الغربيين في هامش كل مورد من تلك الموارد.

١ . في المباني

النظرة القائمة على الفرضيات السلبية تجاه الإسلام وتسلل هذه النظرة في إطار المعتقدات الدينية، ومن بينها العقيدة المهدوية

من الضروري بالنسبة إلى المحقق ـ من أجل التحرّك الصحيح في مسار البحث العلمي ـ أن يتخلّى عن التصوّرات القائمة على الفرضيات المسبقة، وأن يلج موضوع التحقيق برؤية حيادية وغير منحازة. وللأسف الشديد فإن بعض المستشرقين ـ ولا سيّما في المراحل السابقة ـ قد بحثوا في مجال التحقيق بشأن المنجي في الإسلام وهم مدجّجون بمختلف الفرضيات السلبية المسبقة حول الإسلام والتشيّع، ونتيجة لذلك قدّموا تصوّرات خاطئة عن المعتقدات الإسلامية المهمة، ومن بينها العقيدة المهدوية. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ أن إجناتس جولدتسير ومونتغمري واط ـ بوصفهما مستشرقين بارزين في الغرب في حقل الدراسات الإسلامية ـ قد تحدّثا عن التأثير المباشر للأديان السابقة في عقائد وتعاليم الإسلام، وتأثر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله العميق باليهود والمسيحيين في عصره[١]، أو رأي دار مستيتر القائل بتأثر جميع الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام بالمعتقدات الإيرانية والزرادشتية[٢]، قد تركوا تأثيرًا لا يُنكر على آراء الغربيين حول منشأ الإيمان بالمنجي والمنقذ في الإسلام[٣]. وعلاوة على المورد المذكور يجب إضافة النظرة المسبقة لبعض هؤلاء المستشرقين إلى القرآن والحديث

١. جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ١٦ ـ ٢١؛ واط، محمّد پيامبر و سياست‌مدار، ١٤ ـ ٢٧.

٢. دار مستيتر، مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري، ٥ ـ ٦.

٣. من ذلك على سبيل المثال أن إجناتس جولدتسيهر (Goldziher، ١٩٨١: p. ١٩٣ – ١٩٤)، وهرغونييه (Hur-gronje، ١٨٨٥: p. ٤)، قد تحدّثا بشكل صريح عن تأثر المسلمين في عقيدة ظهور المنجي بالأديان السابقة.

أيضًا، فإن هذه النظرة السلبية وإن كان لها ظهور أقل في مورد القرآن الكريم[١]، إلا أنها تجري وتسري في مورد الروايات الإسلامية ـ ولا سيّما منها تلك التي تتحدّث عن آخر الزمان والمهدوية ـ بشكل صارخ[٢].

التأسيس الخاطئ للمنظومة الفكرية

إن من بين الإشكالات الرئيسة والمهمّة التي يعاني منها الكثير من المستشرقين في مسار تحقيقاتهم ودراساتهم، إقامة آرائهم على نظريات بعض المحققين المشاهير في الغرب وعدم التفاتهم إلى الانتقادات التي يوجهها العلماء المسلمون والشيعة إلى تلك المباني الفكرية.

توضيح ذلك أن الاهتمام بالتشيّع في قسم من المراكز العلمية الغربية في عقد السبعينات من القرن العشرين للميلاد، قد بلغ الذروة بشكل خاص[٣]. كما كان لانتصار الثورة الإسلامية في إيران تأثير ملحوظ على اتساع دائرة هذا

1. Lewis, *From Babel to dragomans: interpreting the Middle East*, 17.

٢. كثيرًا ما يرد في كتابات عدد من المستشرقين التعبير بما يحمل دلالات التشكيك في إسناد الأحاديث المهدوية إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. من ذلك ـ مثلًا ـ قول دار مستيتر: «هناك شك في أن يكون النبي هو الذي تحدّث في هذا الشأن [= المهدوية] بمثل هذا الوضوح» (دار مستيتر، مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري، ٩ ـ ١٠). أو ماك كانتز ـ وهو من المحققين المعاصرين ـ حيث يذهب صراحة إلى اعتبار الروايات المعبّرة عن النبوءات حول آخر الزمان، بوصفها روايات مختلقة «تمّ وضعها على لسان النبي ونُسبت إليه»، انظر:

McCants, *The ISIS apocalypse: the history, strategy, and doomsday vision of the Islamic State*, 50..

٣. ربما أمكن اعتبار اجتماع ستراسبورغ الذي حضره عدد من أهم المختصين في حقل التشيّع في العالم سنة ١٩٦٨ م انظر: نصر، «گزارشي از اولين مجمع علمي درباره تشيّع در مغرب زمين»، ٢٥ ـ ٢٦، بداية إو قفزة في هذا التيار.

التيار أيضًا[١]. وبطبيعة الحال فإنه بالنظر إلى ندرة وصول المحققين الغربيين إلى مصادر ونظريات الشيعة، ولا سيّما في بداية الأمر، قد جعل رجوع الغربيين إلى المحققين من صلب المجتمع الشيعي والذين درسوا في الأجواء الغربية، وصدرت كتاباتهم باللغات الغربية، على سُلّم أولوياتهم. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ أنه تم الرجوع من قبل الغربيين إلى آراء عبد العزيز ساشيدينا[٢]، وجاسم محمّد حسين[٣]، ومدرّسي طباطبائي[٤]، ومحمّد علي أمير معزّي[٥]، ولاحقًا سعيد أمير

١. ويُعدّ إقامة المؤتمرات المتكررة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ومن بينها مؤتمر: «الشيعة، الثورة والمقاومة» سنة ١٩٨٤ م في أورشليم (Kramer، ١٩٨٧) شاهدًا على هذا الأمر.

٢. عبد العزيز ساشدينا: مواطن أمريكي من أصول تنزانية. درس في جامعة تورنتو وجامعة عليكره الإسلامية. أستاذ كرسي المعهد الدولي للفكر الإسلامي في الدراسات الإسلامية بجامعة جورج ميسون في فيرفاكس فرجينيا. كتب أطروحته العلمية على مستوى الدكتوراه في موضوع «المهدوية» وقدمها إلى جامعة تورنتو في كندا سنة ١٩٧٦ م، وبعد ذلك بفترة نشرها على شكل كتاب يحمل عنوان: *Islamic Messianism: The Idea of Mahdi in Twelver Shi'ism*

٣. جاسم محمّد حسين: مواطن عراقي من أهالي البصرة. متخصص في تاريخ الإسلام. حائز على شهادة الدكتوراه من جامعة أدنبره في إسكتلندا تحت إشراف المستشرق مونتغمري واط. وقد ألف كتابه تحت عنوان «The Occultation of the Twelfth Imam: A Historical Background» في موضوع المهدوية، وقام بطبعه في لندن.

٤. السيّد حسين المدرسي الطباطبائي: أستاذ جامعي ومفكر إسلامي إيراني معاصر، يعتبر من أبرز الباحثين في التاريخ الإسلامي. له دراية بالفلسفة والقانون والفقه والحديث والتاريخ. درس في جامعة أوكسفورد، وأصبح أستاذًا في جامعة برينستون. ألف كتابه تحت عنوان: *Crisis and consolidation in the formative period of Shiite Islam* سنة ١٩٩٣ م، ثم صدرت ترجمته باللغة الفارسية بعد ذلك بسنوات تحت عنوان مكتب در فرايند تكامل.

٥. محمّد علي أمير معزّي: عالم دراسات إسلامية وأستاذ جامعي ومؤرخ فرنسي من أصل إيراني. مختص في الدراسات الإسلامية في كلية الدراسات العليا. يعتبر أحد الأكاديميين الرائدين في دراسة الشيعة الإثنا عشرية المبكرة. أستاذ في جامعة باريس، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في موضوع «الإلهيات

أرجمند[١]، بأشكال متعدّدة. بيد أن الكثير من آراء هؤلاء الأشخاص تختلف عن المفاهيم التقليدية للتشيّع، بل وتعارضها أحيانًا[٢]، ومن هنا فإن رجوع الغربيين إلى هؤلاء الأشخاص قد أدى إلى وقوع بعض الغربيين في فهم تعاليم الشيعة بشكل خاطئ.

وبالإضافة إلى المحققين المسلمين الذين سجلوا حضورهم في المراكز العلمية في الغرب، كان لبعض المتقدمين في حقل التشيّع من المستشرقين، ومن بينهم: مادلونغ، وكوهلبرغ، دور فريد في تبلور آراء المحققين اللاحقين في الشأن الشيعي في الغرب. إن بعض هؤلاء الأشخاص من خلال تقديمهم لآراء مهمّة في مورد تبلور التشيّع والاعتقاد بالإمام المهدي عند الشيعة، قد أسسوا لمبان فكرية جديدة حظيت باهتمام الكثيرين، وشكلت أرضية لأفكارهم في مسار الدراسات الشيعية.

إن نظرية «الإمامة الباطنية» من قبل أمير معزّي، ونظرية «تطوّر الفكر الشيعي طوال القرون الأولى» من قبل مدرّسي طباطبائي، بالإضافة إلى الآراء المهمّة لإيتان كيلبرغ في حقل تبلور الاعتقاد بإمامة الإمام الغائب عند الشيعة الإثنى

الشيعية» من جامعة السوربون في فرنسا سنة ١٩٩١ م.

١. سعيد أمير أرجمند: باحث إيراني / أمريكي. درس في جامعة شيكاغو، وأصبح أستاذًا في جامعة نيويورك، ومدير معهد ستوني بروك للدراسات العالمية. وقد تعرّض في كتاباته إلى مسائل الغيبة الكبرى عند الشيعة برؤية اجتماعية.

٢. وقد ورد الكثير من الانتقادات من قبل المنظرين وعلماء الشيعة على هؤلاء الأشخاص. انظر على سبيل المثال في مورد نقد عبد العزيز ساشدينا: آيت اللهي، «مروري نقادانه بر دو اثر پژوهشي دانشگاهي در غرب درباره مهدويت»، ٢٢٥ ـ ٢٣٦، وفي مورد مدرسي طباطبائي: جبريلي، «تأملي در مكتب در فرايند تكامل»، ١٥٣ ـ ١٨٣.

عشرية الإمامية، في مقالة «من الإمامية الإثنى عشرية»، من جملة أهمّ هذه الآراء المؤسِّسة للمباني والتيارات.

٢ . في المصادر

التوزيع غير المناسب للاستفادة من المصادر

إن من بين أهم الإشكالات الواردة على أكثر المستشرقين والمحققين الغربيين الناشطين في حقل المهدويّة؛ هو نوع المصادر التي يستفيدون منها في مسار تحقيقاتهم وأبحاثهم.

وعلى أساس هذه الدراسة[١]، وبالنظر إلى تقسيم أنواع المصادر المعتمدة من قبل المستشرقين في تسعة أنواع مختلفة[٢]، يتم بيانها على النحو أدناه:

المصادر المعتمدة من قبل المستشرقين في مجموع المراحل

طبقًا للرسم البياني أدناه[٣]، نجد النقاط الآتية جديرة بالاهتمام والتدقيق:

---

١. دهقاني آراني، «سير تحوّل نگاه مستشرقان به مهدويت در ١٥٠ سال أخير»، ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

٢. إن المراد من المصادر الغربية هي آثار وكتابات المستشرقين المتقدمين والمعاصرين أحيانًا. وإن المعطيات الميدانية بدورها هي من نتائج التقريرات الميدانية للحضور المباشر وغير المباشر للمستشرقين أنفسهم. كما أن مصادر الفرق تشتمل على الكتب الخاصة بالفرق المرتبطة بالمهدوية (ومن بينها: الشيخية والبابية والبهائية والإسماعيلية). وإن المراد من المصادر المتفرّقة هي الموارد التي لا تندرج ضمن التقسيمات الأخرى، وهي تشتمل على موارد من قبيل كتب التراجم والسيَر، وكتب الأديان السابقة وكذلك الكتب المعاصرة. ومن الجدير ذكره أنه في الرسالة المذكورة (دهقاني آراني، «سير تحوّل نگاه مستشرقان به مهدويت در ١٥٠ سال أخير»، ٦٨ ـ ٧١، ١٢٠ ـ ١٢١، ٢٠٥ر ـ ٢٠٧ و٣١٧ ـ ٣٢١)، قد أشارت على سبيل المثال إلى بعض المصادر المعتمدة من قبل المستشرقين البارزين في النصوص المتعلقة بالمهدوية في جداول منفصلة ومستقلة.

٣. على الرغم من أن عدد جميع المستشرقين الذين تعرّضوا في كتاباتهم إلى موضوع المهدوية والمسائل

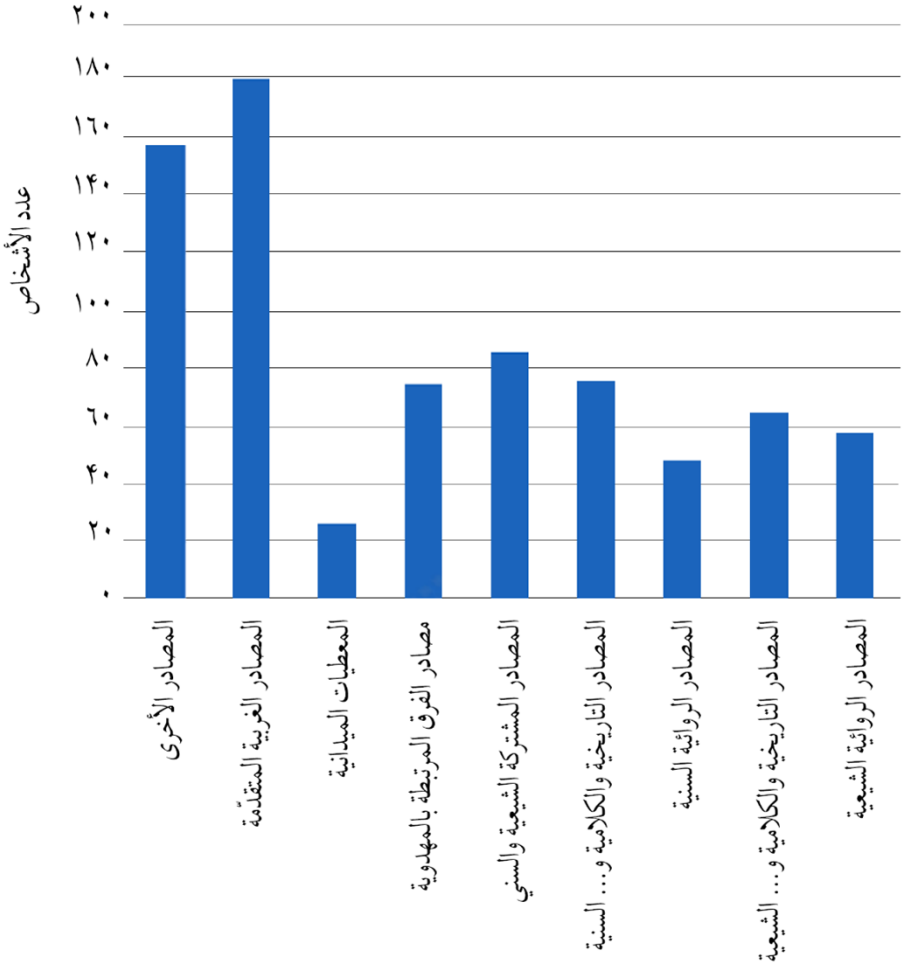

١ . المصادر الغربية، كانت مورد استفادة المستشرقين بنسبة تفوق الـ ٩٠٪، وبعد ذلك تتمّ الاستفادة من المصادر الأخرى (وهي في الغالب عبارة عن ترجمات إسلامية معاصرة أو مصادر الأديان الأخرى) ونسبتها (حوالي ٨٠٪).

المرتبطة بها، في حدود ٢٣٠ شخصًا، إلا أن المصادر التي تمّت ملاحظتها في الرسم البياني أعلاه هي المصادر المعتمدة من قبل ما يقرب من ١٩٣ شخصًا، والسبب الرئيس في ذلك عدم توفر النصوص الأصلية للمستشرق، من أجل بحث المصادر المستفادة من قبله.

٢ . إن عدد المصادر التاريخية / الكلامية الشيعية والسنية المختلفة، قريب من بعضها تقريبًا، ولكن لا بدّ من الالتفات إلى أنه وعلى نحو خاص في المراحل الأولى كانت هذه الأعداد ـ بسبب عدم معرفة الكثير من المستشرقين بالمصادر الإسلامية الأصيلة ولا سيّما الشيعية منها على وجه الخصوص ـ متدنية بشكل عام، وحتى الاستفادة من المصادر الشيعية ولا سيّما في المرحلة الأولى كان محدودًا للغاية.

٣ . النقطة الملفتة الأخرى هي أنه بناء على هذه الدراسة المشار إليها هو أن المصادر الروائية الشيعية قد تمّت الاستفادة منها في المجموع من قبل المستشرقين عبر المراحل من مصادر أهل السنة، وبالنظر إلى أن هذا المسار لم يكن مختصًا بالمراحل الأخيرة؛ فإن هذا الأمر يحكي عن التطوّر الكبير في الرجوع إلى المصادر الروائية الشيعية في الموضوع المهدوي من قبل المحققين الغربيين. وعلى الرغم من ذلك وبالنظر إلى أن عمدة الأبحاث المهدوية مقتبسة من الروايات، فإن الاستفادة المحدودة والشحيحة من المصادر الروائية من قبل المستشرقين، تُعدّ واحدة من الإشكالات الواردة عليهم.

٤ . وكذلك الاستفادة من المعطيات الميدانية التي هي من نتائج الحضور المباشر للمستشرقين في البلدان الإسلامية والمعلومات التي يحصلون عليها من هذه الأسفار؛ كانت في المجموع من أقل المصادر المعتمدة من قبل المحققين الغربيين؛ وإن كانت هذه الأعداد في المراحل الأولى هي الأعلى؛ حيث كان المستشرقون يتواجدون في الأقطار الإسلامية بشكل أكبر أو كانوا يكثرون من التردد على هذه الأقطار.

٥ . إن عدم ملاحظة وعدم ذكر القرآن الكريم والمصادر التفسيرية في هذا

الرسم البياني، يعود سببه إلى ندرة إقبال المستشرقين على هذا النوع من المصادر الإسلامية البالغة الأهمية. وحيث أن الكثير من المستشرقين قد قالوا صراحة[١] أو تلويحًا[٢] بعدم وجود أيّ إشارة في القرآن الكريم إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف والموضوعات المرتبطة به؛ فإنهم لم يجدوا حاجة إلى الرجوع إلى هذا النوع من المصادر. إن ربط بعض آيات القرآن بموضوع المهدوية، أو الالتفات إلى آراء المفسرين المسلمين في حقل ارتباط الآيات بأحداث آخر الزمان، لم تحظ باهتمام إلا القليل من المستشرقين، من أمثال ديفد كوك[٣].

٦ . إن طريقة التعامل مع المصادر والاستفادة منها من قبل مختلف المستشرقين ليست على وتيرة واحدة. من ذلك على سبيل المثال أن كوربان وبوركهارت، وكذلك ماسينيون إلى حدّ ما، كانوا ينظرون إلى المطالب المنقولة عن المصادر الإسلامية / الشيعية بنظرة مقرونة بالاحترام والقبول، وبالنظر إلى علاقتهم ببعض الموضوعات الإسلامية وتوجهاتهم الظاهراتية، يكون هذا الاحترام قابلًا للتوجيه. وفي مقابل هذه الرؤية، فإن كتاب كرون[٤]، وكتابات جولدتسيهر في بعض الموارد[٥]، وهاملتون غيب[٦]، تحتوي على نوع من الرؤية التشكيكية والانتقادية للمصادر الإسلامية.

1. Colin Paul Turner
2. Garcia - Arenal, *Messianism and puritanical reform: Mahdīs of the Muslim west*, 7.
3. Cook, *Studies in Muslim apocalyptic*, 175 - 183.
4. Crone & Cook, *Hagarism*.
5. Goldziher, *Introduction to Islamic Theology and Law,* 198.
6. Gibb, *Mohammedanism: A Historical Survey*, 85.

عدم تقييم المصادر ومطالبها بالمعايير الإسلامية المقبولة

إن أكثر المستشرقين ـ للأسف الشديد ـ لا يلتفتون كثيرًا إلى التقييم الصحيح للمصادر والروايات المقبول بين المسلمين أو الشيعة عند رجوعهم إلى المصادر الإسلامية. وفي حقل بحث موقع ومقدار مقبولية بعض المصادر المعتمدة وحتى بالنسبة إلى المصادر المتأخّرة لا نلاحظ إلا المستوى الأدنى من الدقة والاهتمام بين أغلب المستشرقين. وإن ديفد كوك ـ الذي يُعدّ كتابه بعنوان دراسات في رؤية المسلمين إلى آخر الزمان من المصادر الغربية في هذا الموضوع ـ على الرغم من استفادته من الكثير من المصادر الإسلامية، إلا أن الضعف وقلة الاهتمام في هذا المجال ملحوظ في أعماله؛ بحيث أننا نواجه في كتابه الكثير من الإحالات إلى الآثار الضعيفة عند الشيعة وأهل السنة، بالإضافة إلى اعتماده على المصادر المتأخرة مع وجود وتوفّر المصادر المتقدّمة، أو عدم تفريقه بين مصادر الفريقين[1]. ويمكن الإشارة في هذا الشأن إلى كتاب الفتن لابن حمّاد ـ الذي كان موضوعًا مستقلًا لدراسات بعض المستشرقين[2]، أو الكثير من المطالب المنقولة من قبل الغربيين في حقل رؤية المسلمين إلى أحداث آخر الزمان[3]، مع أن هذا الكتاب لا يحظى بتلك المكانة المقبولة بين المسلمين (الأعم من الشيعة وأهل السنة). إن عدم مقارنة الأقوال والروايات المنقولة في مصدر مع المصادر الموازية أو الأكثر اعتبارًا، والاستناد إلى المصادر المحققة من قبل بعض الغربيين والموجودة في المكتبات الغربية، وعدم الرجوع إلى المصادر المعتبرة والموجودة في مكتبات

1. Cook, *Studies in Muslim Apocalyptic*. 162 - 183.
2. Aguadé, Jorge. (1981). La importancia del "Kitab al-fitan" de Nu`aym B. Hammad para el estudio del mesianismo musulman.
3. Madelung, "Prophecies In Hims In The Umayyad Age," 141 - 185.

البلدان الإسلامية، وكذلك استناد بعض هؤلاء المستشرقين إلى ترجمات هذه المصادر بدلًا من الرجوع إلى هذه المصادر بلغاتها الأصلية، يعدّ من الإشكالات الأخرى التي ترد على الغربيين في استفادتهم من المصادر في هذا الشأن.

وفيما يتعلّق بحقل الروايات والأحاديث ـ إذا ما استثنينا الآثار المحدودة للمستشرقين، من أمثال: إجناتس جولدتسيهر (حيث كانت له نظرة إلى المصادر الرجالية في عدد محدود من كتبه)، ومادلونغ (له ـ على سبيل المثال ـ مقالة حول السفياني؛ حيث كان له نظرة إلى الرواة عند بحث روايات السفياني)[1]، وآندريه نيومن (الذي ينظر في كتابه حول تبلور التشيع الإمامي الإثنى عشري، وفي عدد من مقالاته إلى رواة الحديث)[2]، أو روي فيلوزني (الذي له بحوث رجالية حول الروايات في عدّة أعمال حول الشيخ البرقي، والذي هو من علماء عصر الغيبة الصغرى)[3] ـ لا نرى لدى الغربيين المختصين في الموضوع المهدوي دراسات وافية في مسار البحث والتحقيق حول وثاقة رواة الحديث.

---

1. Madelung, *The Sufyānī between Tradition and History*, 5 - 48.

٢. إن من بين الأعمال الجديرة بالملاحظة والمعيارية في مورد روايات الغيبة، ما قام به آندريه نيومن في مقالة له تحت عنوان «بين قم والغرب: الغيبة عند الكليني والكاتب النعماني»:

Newman, "Between Qumm and the West: The Occultation According to al-Kulayni and al-Katib al-Nu'mani," 94 - 108.

إن هذه المقالة عبارة عن تقرير تفصيلي إلى حدّ ما عن الروايات الموجودة في كتاب الكافي للشيخ الكليني، والغيبة لابن أبي زينب المعروف بالكاتب النعماني في موضوع الغيبة. إن آندريه نيومن يقدّم في هذه المقالة معلومات إحصائية عامّة عن الرواة الأصليين لأحاديث الغيبة وعدد الروايات المنقولة من قبل كل واحد منهم، بل ويعمل ـ من خلال الاستناد إلى علماء الرجال الشيعة، من أمثال: ابن الغضائري، والنجاشي، والشيخ الطوسي ـ إلى التمييز بين الرواة الثقات من غيرهم.

3. Vilozny, *A Study of Kitab al-Mahasin by Muḥammad al-Barqi*.

٣ . في الاتجاهات والمناهج

منهج الرؤية التاريخية وعدم الاهتمام بالأسس العقائدية المهدوية

إن «الرؤية التاريخية» بمعنى نوع الرؤية والعقيدة التي تعتبر التاريخ في شكله الكامل عبارة عن بيئة تكامل وتأثير على جميع الشؤون الإنسانية، ومن بينها المعتقدات والقيَم الدينية[١]. وبعبارة أخرى: من خلال اتخاذ اتجاه الرؤية التاريخية، يتمّ العمل في الغالب على دراسة الجذور والتحوّلات التاريخية لدراسة المعتقدات والأحداث التاريخية بوصفها عنصرًا أصليًا لظهور وتطوّر الموضوع الاعتقادي[٢]. وللأسف الشديد فإننا من خلال النظر في المناهج التحقيقية لدى الكثير من المحققين الغربيين الناشطين في حقل الدراسات المهدوية، نجد هذا الاتجاه بوصفه هو الاتجاه الغالب عليهم في تحليل وتقييم الاعتقاد بالمنجي والمنقذ الإسلامي.

وعلى الرغم من استحالة غض الطرف عن عنصر التاريخ وتأثير الأحداث التاريخية على مسار تحوّل المعتقدات الدينية، وإن هذا الأسلوب والمنهج هو المتّبع حتى من قبل المحققين ضمن المذهب في مختلف الأبعاد الدينية، ومن بينها حقل دراسات الحديث والفقه أو الكلام، إلا أن الاكتفاء البحث بالتقارير التاريخية[٣]، وقلة الاهتمام بالحواضن والعناصر المؤثرة الأخرى على تبلور وتطوّر العقائد المذهبية، ومن بينها المعتقدات الإيمانية العامة المقتبسة من النصوص المقدسة

---

١. عرب صالحي، «تاريخي‌نگري ودين»، ٣٥.

٢. ريفيودين، «پديدارشناسي در تقابل با تاريخي‌نگري، مطالعه موردي (موضوع) امامت»، ٦٢.

٣. والنقطة المهمّة الأخرى التي يجدير التدقيق حولها في هذا الشأن، هي الاستناد الصرف من قبل الكثير من المستشرقين إلى عدد من المصادر التاريخية الأولى (مثل: تاريخ الطبري)، وعدم التقييم الدقيق لروايات تلك المصادر ومقارنتها بالتقارير الأخرى؛ في حين أن هذه المصادر لا تخلو من الإشكالات التاريخية من وجهة نظر المفكرين والعلماء المسلمين. وبطبيعة الحال فقد تحسّن هذا المسار في العقود الأخيرة.

(القرآن الكريم والسنة والحديث)، تُسقط المحقق في نوع من الرؤية المنحازة والخطأ في التحليل. إن هذه المشكلة ملحوظة ـ على سبيل المثال ـ في نظرة المستشرقين في حقل المنشأ والتكامل الأولي للاعتقاد المهدوي في الإسلام، بشكل كامل. ومن هنا فإن الكثير من المستشرقين لمجرّد القول بأن التقريرات الأولى الموجودة في المصادر التاريخية الأولى في الإسلام تحكي عن تبلور الشعار المهدوي في عصر ثورة المختار في مدينة الكوفة، فقد اعتبروه وشيعة الكوفة بوصفهم هم المؤسسون الأوائل لفكرة المهدي[١]. كما يمكن ملاحظة نظير هذا الاتجاه في تبلور المعتقدات الأخرى ذات الصلة بالعقيدة المهدوية، من قبيل ظهور السفياني[٢]، أو خروج الرايات السود من المشرق وخراسان[٣]، في بعض كتابات الغربيين أيضًا. هذا في حين أنه من خلال تغيير الاتجاه وفرضية التحقيق، ربما أمكن اعتبار ظهور ونجاح وبقاء هذه المعتقدات فيما هو أبعد من الأحداث التاريخية أو الشعار الدعائي المرفوع من قبل شخص أو تيار في صدر الإسلام، والقول بتجذّر ووجود هذا الانتظار للمنجي والمنقذ بين المسلمين الأوائل.

المنهج الظاهراتي وقلة الاهتمام بالأبعاد التاريخية والعقلانية للعقيدة المهدوية

إن «الظاهراتية» تعمل على دراسة التجارب المعاشة للمشاركين في البحث والتحقيق من أجل الحصول على جوهر ذلك الموضوع[٤].

إن المنهج الظاهراتي في حقل الدراسات الدينية ـ خلافًا للرؤية التاريخية ـ

1. Hurgronge, *Der Mahdi. Brockelman, History of the Islamic peoples*.

2. Lammens, *Le "Sofiani" Héros National des Arabes Syriens*, 131.

3. Sharon, *Black Banners from the East: The Establishment of the 'Abbāsid State*, 50 & Madelung, "Al-Mahdi," 1230 - 1238.

٤. بودلايي، روش تحقيق پديدارشناسي، ٧.

بصدد بيان ووصف التعاليم الاعتقادية ومهماتها في المنظومة الاعتقادية للدين. وبعبارة أخرى: إن أتباع هذا الاتجاه بصدد وصف وتقييم الموضوع من وجهة نظر أتباع ذلك المذهب[١]. إن هذا الأسلوب متّبع من قبل عدد ليس بالكثير من المستشرقين، لفهم وتوصيف المهدوية في المنظومة الاعتقادية لدى المسلمين والشيعة.

ويمكن الإشارة إلى هنري كوربان وآنا ماري شيمل بوصفهما من أبرز هؤلاء الأشخاص. وعلى الرغم من أن نتيجة هذا الاتجاه عبارة عن رؤية أكثر إنصافًا وانسجامًا مع المفاهيم الإسلامية، ومن بينها المهدوية، إلا أن هذا الأسلوب بدوره لا يخلو من الإشكال؛ حيث يمكن ملاحظة الأفهام العامية وغير الدقيقة الناشئة عن قلة التدقيق في بعض الأبعاد العلمية في المعتقدات الإسلامية لدى هؤلاء المستشرقين[٢].

وللأسف الشديد فإن هذا الإشكال يلاحظ لدى بعض المحققين الآخرين في الغرب، ومن بينهم آنا ماري شيمل[٣] أيضًا.

٣. الرؤية المتباعدة وغير المتماهية

لقد كان لنوع الافتراضات الفكرية والدينية لدى المستشرقين تأثير بالغ على اتجاه ونوع الرؤية والأسلوب والمنهج التحقيقي لهم في دراسة الموضوعات الإسلامية. لقد قام بعض المستشرقين بالبحث والإعلان عن آرائهم حول المهدوية من

---

١. ريفيودين، «پديدارشناسي در تقابل با تاريخي‌نگري، مطالعه موردي (موضوع) امامت» ٦٢.

٢. من ذلك للوقوف على بعض الآراء الغريبة لآنا ماري شيمل ـ انظر: الموسوي الگيلاني، شرق‌شناسي ومهدويت، ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

٣. م.ن.، ٢٠٤ ـ ٢٠٩.

منطلقات دينية[١] أو لادينية[٢]، فكانت نتيجة هذه الأبحاث عبارة عن رؤية «متباعدة» ومعمّقة للاختلافات الدينية والفكرية في المعتقدات الإسلامية مع الأديان أو المدارس الفكرية الشائعة. هذا في حين أن العناصر المشتركة للمنجي الموعود في مختلف الأديان والمذاهب من العمق والوضوح، بحيث أن النظرة المنصفة أو الحيادية يمكن لها الوصول إلى الاتجاه «المتماهي». ومن خلال هذه الرؤية ذهب بعض المحققين الغربيين إلى القول بأن التشابه الكبير بين الإسلام ومختلف الأديان فيما يتعلق بالرؤية إلى المنجي الموعود يُعدّ أمرًا طبيعيًا بل وضروريًا، وقالوا بأن هذا الأمر يُعبّر عن سماوية هذه التعاليم[٣].

٤. في اختيار الموضوعات والأولويات

النظرة الكلية دون الالتفات بعمق إلى الجزئيات أو النظرة الكلية دون الالتفات الكافي إلى عناصر النظام الاعتقادي المهدوي

إن الكثير من دراسات المستشرقين في المرحلة القديمة، تعاني من إشكال «النظرة الكلية» و«عدم الالتفات العميق والدقيق» إلى الموضوعات المهمة المنظوية تحت الرؤية المهدوية[٤]. وعلى الرغم من أن المحققين الغربيين قد سعوا

---

١. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ أن إجناتس جولدتسير ـ بوصفه يهوديًا أو لامنس

Lammens, *Islam: beliefs and institutions*, 50 - 51.

(ـ بوصفه شخصًا مسيحيًا ـ قد أعربا عن ديانتهما في معرض نشاطهما صراحة.

٢. من أمثال دار مستيتر الذي يذهب ـ مثل دوركيم ـ إلى القول بأن للأديان جذورًا بشرية وليست سماوية (انظر: الموسوي الگيلاني، شرق‌شناسي ومهدويت، ١٠٨ ـ ١٠٩).

3. McElwain, *Shi'ite*.

٤. وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر ليس على كليته، ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ يمكن الإشارة في مورد السفياني إلى:

Hartmann, *Der Sufyani; Madelung, Prophecies In Hims In The Umayyad Age*, 5- 48.

في الأعوام الأخيرة في بعض المجالات إلى رفع هذه المشكلة من خلال تحقيقاتهم الجزئية[١]؛ إلا أن هذه التحقيقات كانت عبارة عن تحقيقات موردية وخاصة، وهي بالإضافة إلى عدم جامعيتها، لم تقم بالضرورة على أساس أهميّة وأولوية الموضوع.

وبطبيعة الحال فإن مفهوم المنجي في الإسلام ـ وبشكل خاص عند الشيعة ـ يشتمل على عناصر مهمّة، من قبيل: الغيبة، والانتظار، والظهور، وحكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإن عدم فهم هذه العناصر أو قلة الاهتمام بها يؤدّي إلى إدراك العناصر الأخرى بشكل خاطئ، وإن ذات هذه المشكلة يمكن مشاهدتها في الأعمال الجزئية التي قام بها المحققون المعاصرون. وإن عدم الالتفات الكافي إلى العناصر الأساسية لعقيدة المسلمين والشيعة ـ التي تلعب دورًا مؤثرًا وعميقًا في إيمانهم بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ يندرج ضمن هذه المقولة.

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ أن الاعتقاد بوراثة الصالحين للأرض وتفوّق الإسلام على جميع الأديان (من وجهة نظر المسلمين)، أو الاعتقاد بوجود الإمام الحي في كل عصر وزمان (عند الشيعة)، قلما تمّ الاهتمام به من قبل المحققين الغربيين بوصفه اعتقادًا جذريًا وأساسيًا للمسلمين والشيعة، ومقوّمًا لمعتقداتهم في حقل المهدوية.

---

١. يمكن الإشارة في هذا الشأن إلى التحقيقات الدقيقة لروي فيلوزني حول الشيخ البرقي وكتابه المحاسن:

Vilozny, Vilozny, *A Study of Kitab al-Mahasin by Muḥammad al-Barqi*.

أو أطروحة كولين تيرنر حول روايات الغيبة في كتاب بحار الأنوار :

Turner, *The Rise of Twelver Shi'ite Externalism in Safavid Iran and Its Consolidation Under, Allama Muhammad Baqir Majlisi*..

تغيير موضع الأولويات

بناء على التحقيق الذي تمّ القيام به في هذه المقالة[١]، يمكن بيان مجموع آراء أهم المستشرقين في المسائل المهدوية والموضوعات المرتبطة بها، من خلال الرسم البياني أدناه:

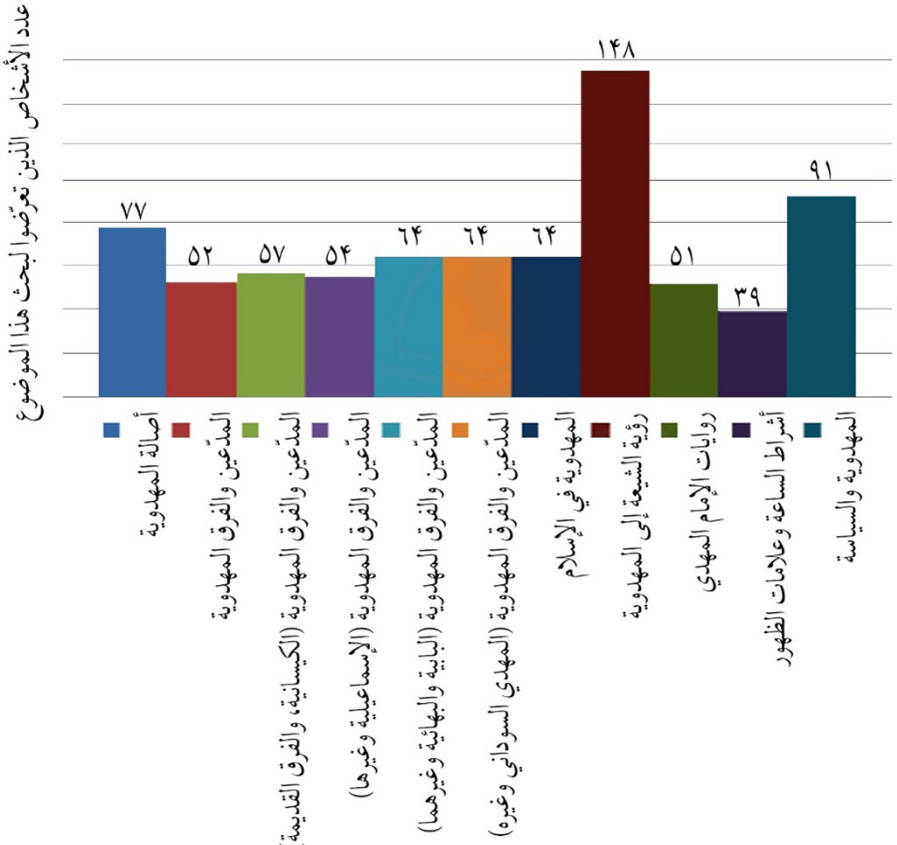

كما يلاحظ في الرسم البياني أعلاه، فإن الموضوعات الثلاثة، وهي: «المهدوية الشيعية»، و«العلاقة بين المهدوية والسياسة»، و«أصالة المهدوية»، قد حظيت

١. دهقاني آراني، «سير تحوّل نگاه مستشرقان به مهدويت در ١٥٠ سال أخير»، ٣٢٩ ـ ٣٣١.

بالاهتمام الأكبر من قبل المستشرقين في مختلف المراحل. ومع ذلك هناك عدد كبير من المستشرقين ـ ولا سيّما في المراحل الأولى ـ أبدوا اهتمامًا بظاهرة المدّعين للمهدوية، والفرق المرتبطة بالمهدوية. ومن الجدير ذكره أن الرسم البياني أعلاه لا يعبّر بالضرورة عن عمق ودقّة أبحاث المستشرقين في الأبحاث المذكورة وخوضهم في جميع أبعاد الموضوع.

وبشكل عام فإن أبحاث الكثير من المحققين الغربيين في المسائل المرتبطة بالمهدوية، لم تكن تستند إلى أهمية وموقع تلك المسائل، وإنما كانت تقوم في الغالب على الأذواق والرغبات الشخصية أو بتوجيه من الجهات الداعمة للتحقيق. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ أنه في المراحل الأولى من الدراسات الغربية حول موضوع المهدوية حيث كان لظاهرة المدّعين للمهدوية ـ (ومن بينها: المهدي السوداني، وتيار البابية، والبهائية، وكذلك القاديانية) ـ حضور صارخ على الساحة، فقد اتجهت التحقيقات في الغالب إلى هذه الناحية؛ أو بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، بلغت الدراسات الغربية حول موضوع العلاقة بين المهدوية والسياسة ذروتها.

وكان من نتائج عدم تجانس الاهتمام وتبعية الكثير من تحقيقات المستشرقين إلى الظروف الزمنية والمهام الموكلة إليهم، هو تراجع الاهتمام ببعض الموضوعات والمسائل المهمّة في هذا المجال. وهي موضوعات من قبيل: علامات الظهور وشرائطه، والغيبة والانتظار، والحكومة، والنوّاب الأربعة، وحتى الروايات المرتبطة بالمهدوية، حيث كانت تعاني هذه الموضوعات من قلة الاهتمام والتدقيق والعمق في الدراسات الغربية، ولم يتناول بحث هذه المسائل والموضوعات بشكل عميق ودقيق سوى النزر القليل من المستشرقين[1].

---

١. من ذلك فيما يتعلق بموضوع «النوّاب الأربعة» ـ على سبيل المثال ـ كان الأثر الوحيد الملحوظ والذي استندت إليه جميع التحقيقات والدراسات اللاحقة عند الغربيين، عبارة عن مقالة فيرنا كليم:

Klemm, "Die Vier Sufarā' des Zwölften Imam: Zur Formativen Periode der Zwölfer-Schia," 126 - 143.

النتيجة

إن دخول المستشرقين إلى ساحة التحقيق والتنظير في الحقل المهدوي والرؤية الإسلامية إلى المنجي والمصلح، ليس له سابقة ضاربة في القِدَم، ويمكن مشاهدة مجالات وأبعاد وتوجهات متفاوتة في آراء ونظريات المحققين الغربيين في هذا المفهوم الإسلامي. وبمرور الزمن ولمختلف الأسباب، ومن بينها: تغيير الاتجاه الكلي للاستشراق، والنظرة إلى الإسلام بين الغربيين، وتمكّن أكثر المستشرقين من الوصول إلى المصادر الإسلامية والشيعية، والحضور الصارخ للمسلمين في المؤسسات العلمية للغرب، ووقوع الأحداث المهمّة والمؤثرة، من قبيل: الثورة الإسلامية في إيران؛ فقد كان لذلك تأثيرات ملحوظة وإيجابية إلى حدّ ما على نوع رؤية واتجاه المحققين الغربيين في موضوع المهدوية، ولكن لا تزال دراسات الغربيين وتحقيقاتهم في هذا الشأن تعاني من مشاكل جمّة؛ من قبيل: وجود الفرضيات المذهبية أو السياسية المسبقة، واتخاذ الاتجاهات الخاطئة وغير الصحيحة في الرجوع إلى المصادر الدينية، واتخاذ الأساليب والمناهج البحثية الناقصة، والنظرة المجتزأة وغير الصائبة، وغياب الرؤية الجامعة، وكذلك عدم الرجوع إلى النظريات العلمية الإسلامية المعاصرة أو تجاهلها. ولرفع هذه الإشكالات يمكن العثور على مختلف الحلول؛ ومن بينها: رصد وتحديث المعلومات في مورد النشاطات التحقيقية ودراسات المراكز العلمية للغرب، وتفعيل الحضور العلمي للمحققين المسلمين والشيعة في المحافل الدولية (من طريق المشاركة في المؤتمرات، ونشر المقالات في المجلات العلمية المعتبرة، أو ترجمة ونشر الآثار التحقيقية المتقنة ونقلها إلى أبعد من الأقطار الإسلامية)، وإقامة الندوات والمؤتمرات الدولية في الموضوعات الخاصة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتقديم الآراء الإصلاحية في هذا الشأن.

وهي بدورها تعاني من النواقص والإشكالات الكثيرة.

المصادر

١. آيت اللهي، محمّد تقي، «مروري نقادانه بر دو اثر پژوهشي دانشگاهي در غرب درباره مهدويت»، مجلة: انتظار موعود، العدد: ٨ ـ ٩، ١٣٨٢ش: صص ٢٢٥ ـ ٢٣٦.

٢. الويري، محسن، مطالعات اسلامي در غرب، طهران، سازمان مطالعه و تدوين كتب دانشگاهى در علوم اسلامى و انسانى «سمت»، ١٣٩٣ش.

٣. بودلايي، حسن، روش تحقيق پديدارشناسي، طهران، انتشارات جامعه‌شناسان، ١٣٩٥ش.

٤. تاجري‌نسب، غلام حسين، فرجام‌شناسي حيات انسان، طهران، مركز فرهنگي انتشاراتي منير، ١٣٨٧ش.

٥. جبرئيلي، محمّد صفر، «تأملي در مكتب در فرايند تكامل»، مجلة: قبسات، العدد: ٤٥، ١٣٨٦ش: صص ١٥٣ ـ ١٨٣.

٦. جعفري، محمّد صابر، «پرسش وپاسخ مهدويت: در باره واژه مهدويت»، مجلة پاسدار اسلام، العدد: ٣٤٩، السنة: ٣٠، عام ١٣٨٩ش: ص ٥٢.

٧. جولدتسيهر، إجناتس، العقيده والشريعة فى الإسلام، ١٣٥٧ش.

٨. دار مستيتر، جيمز، مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري، الترجمة: محسن جهانسوز، طهران، كتاب‌فروشي أدب، ١٣١٧ش.

٩. دهقاني آراني، زهير، «سير تحوّل نگاه مستشرقان به مهدويت در ١٥٠ سال أخير»، أطروحة علمية على مستوى الدكتوراه، دانشگاه تهران / پرديس فارابي، ١٣٩٨ش.

١٠. ريفيودين، محمّد أويس، «پديدارشناسي در تقابل با تاريخي‌نگري، مطالعه موردي (موضوع) امام»، مجلة: امامت‌پژوهي، العدد: ٧، ١٣٩١ش: صص ٦١ ـ ٧٨.

١١. سعيد، إدوارد، شرق‌شناسي (الاستشراق)، الترجمة: عبد الرحيم گواهي، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٧٢ش.

١٢. عرب صالحي، خداخواست، «تاريخي‌نگري ودين»، مجلة: قبسات، العدد: ٥٠، ١٣٨٧ش: ص ٣٣ ـ ٥٨.

١٣. محمّدي ري‌شهري، محمّد، «مهدويت در نگاشته‌هاي مستشرقان»، في: دانش‌نامه امام مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بر پايه قرآن، حديث وتاريخ، تدوين علي راد، قم، دار الحديث، ١٣٩٣ش: صص ١٤٤ ـ ١٦٠.

١٤. الموسوي الگيلاني، سيد رضي، شرق‌شناسي ومهدويت، قم، بنياد فرهنگي حضرت مهدي موعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٣٨٩ش.
١٥. نصر، سيد حسين، «گزارشي از اولين مجمع علمي درباره تشيّع در مغرب زمين»، مجلة: معارف اسلامي (منظمة الأوقاف)، العدد: ٦، ١٣٤٧ش: صص ٢٥ ـ ٣٠.
١٦. وات، مونتگمري، محمّد پيامبر وسياست مدار، الترجمة: إسماعيل واليزاده، طهران، كتاب فروشي اسلاميه، ١٣٤٤ش.
17. Aguadé, Jorge. "La Importancia del` Kitab al-Fitan' de Nu` aym B". *Hammad Para el Estudio del Mesianismo Musulmán*. Barcelona/Spanien. Universität Tübingen, 1981.
18. Brockelmann, Carl. *History of the Islamic Peoples*. (J. Carmichael & M. Perlmann, trans.). New York: Capricorn Books, 1960.
19. Cook, David. *Studies in Muslim Apocalyptic*. Princeton, N.J. Darwin Press, 2002.
20. Crone, Patricia & Michael A. Cook. *Hagarism: The Making of the Islamic World*. Cambridge. Cambridge University Press, 1976.
21. Donner, Fred M. "La Question du Messianisme dans l'Islam Primitif," *Publications de l'Université de Provence*, Vol. 91-94, 2000: pp. 17-28.
22. García-Arenal, Mercedes. *Messianism and Puritanical Reform: Mahdīs of the Muslim West*. (M. Beagles, trans.). Leiden; Boston. Brill; Extenza Turpin, 2006.
23. Gibb, Hamilton A. R. *Mohammedanism: A Historical Survey*. New York. NY: Oxford University Press, 1962.
24. Goldziher, Ignác. *Introduction to Islamic Theology and Law*. (A. Hamori & R. Hamori, trans.). New Jersey. Princeton University Press, 1981.
25. Hartmann, Richard. *Der Sufyani*. Kopenhagen. Munksgaard, 1953.
26. Hurgronje, Christiaan Snouck. *Der Mahdi*. Amsterdam. [Verlag nicht ermittelbar], 1885.
27. Klemm, Verena. "Die Vier Sufarā' des Zwölften Imam: Zur Formativen Periode der Zwölfer-Schia." *Die Welt des Orients*, Vol. 15, 1984: pp. 126-143.
28. Lammens, Henri. "Le` Sofiani' Héros National des Arabes Syriens." *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, Vol. 21, 1922: pp. 131-144.

29. Kramer, Martin (ed.). *Introduction to Islamic Theology and Law*. Westview Press, 1987.
30. Lammens, Henri. *Islam: Beliefs and Institutions*. (D. Ross, trans.). London. Cass, 1968.
31. Lewis, Bernard. *From Babel to Dragomans: Interpreting the Middle East*. London. Oxford University Press, 2004.
32. Madelung, Wilferd. "Al-Mahdi," in: *The Encyclopaedia of Islam* (Second Edition, Vol. 5) Leiden. Brill, 1985: pp. 1230-1238.
33. Madelung, Wilferd. "Prophecies in Hims in the Umayyad Age," *Journal of Semitic Studies*, Vol. 31(2), 1986: pp. 141-185.
34. Madelung, Wilferd. "The Sufyānī Between Tradition and History," *Studia Islamica*, Vol. 63, 1986: pp. 5-48.
35. McCants, William F. *The ISIS Apocalypse: The History, Strategy, and Doomsday Vision of the Islamic State*. New York. Picador: St. Martin's Press, 2016.
36. McElwain, Thomas. *Shi'ite Beliefs in the Bible*. Finland. Adams & McElwain Publishers, 2008.
37. Newman, Andrew J. "Between Qumm and the West: The Occultation According to al-Kulayni and al-Katib al-Nu'mani," in *Culture and Memory in Medieval Islam: Essays in Honour of Wilferd Madelung*, edited by Farhad Daftary & Josef W. Meri, New York. I.B. Tauris, 2003: pp. 94-108.
38. Sharon, Moshe. *Black Banners from the East: The Establishment of the `Abbasid State*. Incubation of a Revolt. Jerusalem; Leiden: Magnes Press, the Hebrew University; Brill, 1983.
39. Turner, Colin Paul. *The Rise of Twelver Shi'ite Externalism in Safavid Iran and Its Consolidation Under` Allama Muhammad Baqir Majlisi* (1037). University of Durham, 1989.
40. Vilozny, Roy. *A Study of Kitab al-Mahasin by Muḥammad al-Barqi* (d. 888 or 894 CE). The Hebrew University of Jerusalem, 2012.